

المحبة والإتباع

بقلم

د. زين بن محمد العيدروس

عفا الله عنه

دار العيدروس

١٤٣٧هـ ــ ٢٠١٥م

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ ــ ٢٠١٥م
رقم الايداع بدار العيدروس(١٠٦)

الصف الضوئي والتنسيق
بدار العيدروس
daralaidaroos@gmail.com

حضرموت . اليمن
ت. ٧٧١٣١١٤٥٦
ت. ٧٠١٢١٧٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لا محبوب سِواه، أحمده حمداً كثيراً عدد نعمِهِ وآلائه، أمرنا بمحبةِ نبيّه ومُصْطفاه، واتّباعه والاستمساك بهديه إلى أن نلْقاه، صلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومَنْ والآه وبعد:

لقد ابتلانا الله تعالى بأقوامٍ لم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه، ولا من العلم إلا رسْمه، فأرادوا إبعاد الأمة من نبيّها من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فزعموا أن المحبة لا تغني ولا تسلك بصاحبها إلى إتباع هديه صلى الله عليه وآله وسلم، ويا للعجب فما ترك المشركون واليهود والنصارى اتباع رسولنا إلا حقداً وحسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق، يقول الله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[١]، مع الاقرار بأنه هو الرسول ﷺ، والإذعان بالآيات الظاهرة، والمعجزات الباهرة على صدِق ما جاء به.

واعلم أن مَنْ أحبَّ غير الله تعالى لا من حيث نسبته إلى الله تعالى فذلك لجهلهِ وقصورهِ في معرفة الله تعالى، وحبّ الرسول ﷺ محمودٌ بل واجب؛ لأنه عين حُبِ الله تعالى؛ ولأن محبوب المحبوب محبوب، ورسول المحبوب محبوب، وكلُّ ذلك يرجع إلى حُب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر السليمة إلا الله تعالى، وهذه حقيقة يجب فهمها.

وقد رتبتُ البحث في هذه المقدمة وتمهيد مختصر ومبحثين وخاتمة كما يأتي:

---

[١] سورة البقرة: ١٠٩.

المقدمة :

التمهيد: في معنى المحبة ووجوبها.

المبحث الأول: في بيان أن الإتباع من علامات المحبة وأثرها.

المبحث الثاني: في بيان خطأ في فهم آية قرآنية، وذكر إشكال وجوابه.

الخاتمة: وفيها نماذج من المحبة الصادقة.

وأسأل الله تعالى لي الإخلاص فيما أكتبه، وأن يكون سبباً قوياً وطريقاً موصلاً إلى محبة الله تعالى، ومحبة حبيبه وصفيِّه سيدنا رسول الله ﷺ ، وقد كتبتُ هذا البحث المختصر قبل فترة طويلة من الزمن أيّام طلبي للعلم ، فرأيتُ إخراجه ونشره على حالته، وأدخلتُ فيه زيادات يسيرة، وتصحيحات ، وهذا أوان الشروع في المقصود، وبالله تعالى التوفيق .

التمهيد

في معنى المحبة ووجوبها

معنى المحبة:

أصل المحبة في اللغة: الميل إلى ما يوافق المُحب[1].

والمحبة: ميلُ النفس إلى الشيء الموافق، وهذا أقرب معنى للمحبة[2]. وسُميت المحبة محبةً ، لأنها تخلص إلى حبّة القلب وهي باطنه وسويداؤه.

وقد أجمعت الأمة على أن حب الله تعالى ورسوله فرض عين على كل مسلم، قال تعالى:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] ، وجاء في حديث أنس عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما) [4]، وفي حديث أنس أيضاً مرفوعاً :(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ونفسه والناس أجمعين) [5] ، زاد البخاري في رواية :(قال عمر يا رسول الله: لأنت أحبُّ إليَّ منْ كُلّ شيءٍ إلا منْ نفسي، فقال النبي ﷺ : (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك" فقال عمر: فأنت الآن والله أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال: (الآن يا عمر) [6] ، وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ من نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لحبي) [7]، والآيات والأحاديث في هذا الباب شهيرة وكثيرة.

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء الكفومي٣٩٨.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ١٤.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) أخرجه البخاري برقم:١٦، ومسلم برقم:١٦٥.

(٥) أخرجه البخاري برقم:١٥، ومسلم برقم: ١٦٨.

(٦) البخاري رقم:٦٦٣٢.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه واللفظ له ك: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أهل بيت النبيﷺ،وقال: هذا

المبحث الأول

في الإتباع من علامات المحبة وأثر المحبة

المحبة والكراهية . البغض . مما يهجمان على القلب، فلا خيار للإنسان فيهما لا جلباً ولا دفعاً، إلا بعد تعاطي أسبابهما مِن تفكّرٍ وتأمّلٍ وما يصل إليه من الخير أو من الشر، وهذا أمرٌ مسلّم به شرعاً وعقلاً، ولهذا قيل: إن القلوب جبُلت على حُب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها [1]، فلابد إذن من أن تتقدم المحبة على الإتباع والطاعة، (فكل مُحبٍ مُتبع وليس كل مُتبع مُحب) وهذا أبسط وأقرب مثال من الواقع يدل على ذلك: الجندي الذي يتَّبع تعاليم الذي هو أرفع منه رتبةً كضابط . من مشي أو سعي أو ضرْب تحية أو احترام، ليس دليلاً على محبته له، فقد يُبغضه لسُوء معاملته معه مثلاً أو لأمرٍ آخر، إذن فليس كل متبع محب، بخلاف المُحب فإنه متبع غالباً، فمن أحبَّ أحداً فإنه ينقاد لمحبوبه، وممّا يدل على ما ذكرتُ ما يأتي:

١ـ الحديث السابق:(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ونفسه والناس أجمعين). فذكر أن الإيمان منوط بالمحبة، ولم يقل حتى يتبعني؛ لأن المحبة هي الأصل والإتباع ينتج بسبب المحبة غالباً.

٢ـ عن أنس ﷺ قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددتَ للساعة، قال: ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن أُحبُ الله ورسوله، فقال النبي ﷺ : (فإنك مع من أحببت)

حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إنما نَعْرِفُهُ من هذا الْوَجْهِ. والحاكم في المستدرك٣/ ١٦٢ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١٣٠ .

(١) انظر: الإحياء للغزالي ٤/٣١٥.

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ :(فإنك مع من أحببت)، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(١).

فانظر . رحمك الله تعالى . إلى أثر المحبة الصادقة تُبلِّغ صاحبها المعية مع المحبوب، دون عمل أعمالهم واتباعهم، وذلك لا ينافي أصل المحبة، بل الإتباع ثمرة من ثمار المحبة الصادقة، وهذا ما قرره العلماء الأعلام شرّاح هذا الحديث، قال الإمام النووي . رحمه الله . ما نصه: (فيه فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومِنْ فضْل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمل عملهم لكان منهم ومثلهم، وقد صرّح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال: أحبّ قوما ولمّا يلحق بهم، قال أهل العربية لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال، بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه. وقوله :(ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة) أي غير الفرائض معناه: ما أعددت لها كثير نافلة من صلاة ولا صيام ولا صدقة)(٢) **، وذلك كما قال البوصيري في بردته الشهيرة المباركة : ولم أصل سوى فرض ولم أصم .**

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦١٧١، ومسلم برقم: ٢٦٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦/٤٢٥.

وقال العلامة المُلا علي القاري ـ رحمه الله ـ : (أجاب ـ أي الرسول ﷺ بقوله للرجل : (فإنك مع من أحببت) ـ بحكم عام شامل تام، وفيه إشارة إلى أن المعيّة على قدر المحبة المُوجبة للطاعة،... وفي الجامع الصغير (المرء مع من أحب) رواه أحمد والشيخان وأبو داؤود والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه في رواية الترمذي: (المرءُ مع من أحب وله ما اكتسب)، وفي هذه الزيادة إشارة إلى أن قُرب المعيّة على قدر كسب الجُمعية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [(١)] ، كما يُؤمي إليه البيان بالأنبياء وغيرهم، فالناقص في الصلاح مع محبة أكمل الصالحين يُحشر معهم كما قيل:

أُحبّ الصالحين ولستُ منهم *** لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكرهُ من بضاعته المعاصي *** ولو كنا سواء في البضاعة [(٢)]

وعلى هذا القياس في الصديقين والشهداء، وأما العلماء فهم ورثة الأنبياء) [(٣)].

والبيتان المذكوران للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وأجابه بعضهم بقوله:

تُحبُ الصالحين وأنتَ منهم *** مُحبُ القوم يَلحق بالجماعة

ولقد ذكر الإمام القرطبي الحكمة من فرح الصحابة رضي الله عنهم بهذا الحديث فقال: (وإنما كان فرحهم بهذا القول عنه ﷺ أشد من فرحهم بسائر أعمال

---

(١) سورة النساء:٦٩.

(٢) ديوان الإمام الشافعي ٩٠.

(٣) شرح القاري للشفا للقاضي عياض ٣٦/٢.

البّر؛ لأنهم لم يسمعوا أن في أعمال البِّر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه إلا حبّ الله ورسوله، فأعظم بأمرٍ يلحق المقصّر بالمشمّر والمتأخر بالمتقدِّم، ولمّا فهم أنس رضي الله عنه أن هذا اللفظ محمول على عمومه علّق به رجاءه وحقّق فيه ظنّه فقال: أنا أحب الله ورسوله ... إلخ، والوجه الذي تمسّك به أنس يشمل من المسلمين المُحبين كل ذي نفس، فلذا تعلّقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنّا غير مستأهلين)[1].

٣. المنافقون في عهد رسول الله ﷺ كانوا يظهرون المتابعة لأوامره ﷺ ولكنهم يبغضونه وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول، ولقد حكى القرآن الكريم عن هذا البغض الدفين فقال الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، واقرأ سورة المنافقين بتمعُّن وتفهّم تجد ما ذكرتُه لك واضحاً جلياً .

قد يقول بعضهم: إن ما حدث من ذي الخويصرة ـ ومن على نهجه من المنافقين ـ من إساءة الأدب وعدم التعظيم لرسول الله ﷺ لا يدل على أنه لا يحبه !! وهذا غريب، والتفريق بين المحبة والتعظيم تفريق بلا دليل شرعي وعقلي، فالتعظيم ثمرة من ثمار المحبة كالإتباع (فكل محب مُعظّم وليس كل مُعظّم محب) فافهم تُلهم.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لابن علان ١/٩٤.

(٢) سورة المنافقين: ٨.

٤ـ عـن سـعيد الخُـدري ﷛ **قـال: بعَـث علـي بـن أبـي طالـب** ﷛ **إلـى رسـول الله** ﷺ **مـن الـيمن، بذهَبـةٍ فـي أديـمٍ مقـرُوظٍ .. فقسّـمها بـين أربعـة نفـر . فـذكرهم . فقـال رجـل مـن أصـحابه: كُنّـا نحـنُ أحـقّ بهـذا مـن هـؤلاء، قـال: فبلـغ ذلـك النبـي** ﷺ **فقـال: (ألا تـأمَنُوني؟ وأنـا أمـينُ مَـن فـي السـماء، يـأتيني خبـر السـماء صـباحاً ومسـاءً)، قـال: فقـام رجـلٌ غـائرُ العينـين، مُشْـرف الـوجنتين، ناشـز الجبهـة، كـثُّ اللّحيـة، محلـوق الـرأس، مُشـمّر الإزار فقـال: يـا رسـول الله؛ اتـقِ الله، وفـي روايـة قـال: اتـق الله يـا محمـد، وفـي روايـة قـال: اعْـدِل، فقـال النبـي** ﷺ**:(ويْلـك! أولسْـتُ أحـقّ أهـل الأرض أن يتقـي الله)، قـال: ثـمّ ولّـى الرجـل، فقـال خالـد بـن الوليـد: يـا رسـول الله؛ ألا أضـرب عُنُقـه؟ فقـال: (لا، لعلَّـه أن يكـون يُصـلِّي)، قـال خالـد: وكـمْ مـن مُصـلٍّ يقـولُ بلسـانهِ مـا لـيس فـي قلبـه، فقـال رسـول الله** ﷺ**: (إنـي لـم ءُأمـر أن أنقـب عـن قلـوب النـاس، ولا أشـقّ بطـونهم)، قـال: ثـم نظـر إليـه وهـو مُقـفٍ، فقـال: (إنــه يخــرج مــن ضئضــئ هــذا قــومٌ يتلُــون كتــاب الله رطبــاً، لا يجــاوزُ حنــاجرهم يمرقـون مـن الـدين كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة)، قـال أظنـهُ قـال: (لـئن أدركـتهم لأقتلـنّهم قتـل ثمـود)** [1] **، هـذا الرجـل هـو: ذو الخويصـرة مـن بنـي تمـيم جـاء ذكـره فـي بعـض الروايـات، وفيـه صـفات الإتبـاع والانقيـاد ومنهـا: أنـه كـثّ اللحيـة، مُشـمّر الإزار، غـائر العينـين . علامـة علـى سـهره لـيلاً فـي العبـادة .، مُشّـرف الـوجنتين . كنايـة عـن كثـرة صـومه . وغيرهـا مـن صـفات الإتبـاع مـن قـراءة القـرآن بإتقـان، ولكـن قلـب هـذا الرجـل وأمثالـه فـي كـل عصـر فـارغ المحبـة للنبـي** ﷺ **، وإلّا لمـا صـدَرَ منـه شـيء من المخالفة وإساءة الأدب، والأمثلة والأحداث مثل ما تقدّم كثيرة.**

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٦١٠، ومسلم واللفظ له برقم: ٢٤٥٢.

كلام العلامة محمد سعيد رمضان البوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في المحبة:

للعلامة محمد البوطي كلام مفيد في أهمية المحبة لرسول الله ﷺ جديرٌ بالاطلاع عليه، فبعد أن ذكر تعليقه على استقبال الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً سيدنا رسول الله ﷺ في قُدومه إلى المدينة قال: (يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله ﷺ ليست في مجرد الإتباع له، بل المحبة له هي أساس الإتباع وباعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وُجد وازع يحمل على الإتباع في العمل. ولقد ضلَّ قوم حسبوا أن محبة رسول الله ﷺ ليس لها معنى إلا الإتباع والاقتداء، وفاتهم أن الاقتداء لا يأتي إلا بوازع ودافع، ولن تجدَ من وازع يحمل على الإتباع إلا المحبة القلبية التي تهز المشاعر وتستبد بالعواطف. ولذلك جعل الرسول ﷺ مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته عليه الصلاة والسلام، بحيث تغدو مُتغلِّبه على محبة الوالد والولد أي: مصدر كل منهما العاطفة والقلب وإلا لم تصح المقارنة والتفضيل بينهما)[1].

أثر المحبة وسبل الوصول إليها:

المحبة هي: المُحرّك الأساسي لكل تضحيةٍ وفداء ولكلِ عملٍ وعطاء. وهذا ممّا لا يشك فيه عاقل. فحيثما وُجدتْ المحبة مع الإيمان رأيتَ العجب العُجاب، ورأيتَ رُقياً وسُمُواً في حياة المسلم، ولقد رأينا هذا ظاهراً وواضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار في سير الصحابة الكرام ﷺ ومن سار على دربهم، فهذا العلامة البوطي يُحدثنا عن ذلك وعن سُبُل الوصول إلى هناك قائلاً: (هذه المحبة، بل هذا الهوى المستحوذ على قلوب أصحاب رسول الله

---

(١) فقه السيرة للبوطي ١٤٧.

ﷺ هو الذي جعلهم يمدون نحورهم دون رسول الله، ويعانقون الموت في سبيل حفظ حياته عليه الصلاة والسلام. وكم في غزوة أحد من المشاهد الرائعة التي تكشف عن أثر هذه المحبة إذ تغمرُ قلب صاحبها.. ويومٌ تمتلئُ أفئدة المسلمين في عصرنا هذا بنحوٍ من هذه المحبة، بحيث تُبعدهم قليلاً عن شهواتهم وأنانيتهم، وتتغلّب عليهم . أقول: يوم يحدث هذا في أفئدة المسلمين فإنهم يصبحون خلقاً آخر جديداً، وسينتزعون انتصارهم من بين شدقي الموت وسيتغلبون على أعدائهم، مهما كانت العقبات والسدود.

وإذا سألتَ عن السبيل إلى مثل هذه المحبة، فاعلم أنها في:

١. كثرة الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ .

٢. وفي كثرة التأمل والتفكر في آلاء الله تعالى ونعمه عليك.

٣ـ وفي سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه وشمائله، وهذا كله بعد الاستقامة على العبادات في خشية وحضور والتبتل إلى الله عز وجل بين الحين والآخر) [1].

---

(١) فقه السيرة ١٩٥.

المبحث الثاني

في بيان خطأ في فهم آية قرآنية، وذكر إشكال وجوابه

بيان خطأ في فهم آية قرآنية

زعم بعضهم أن في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، دليلاً على أن الأصل في المحبة هو الإتباع لا غير، فكُل مُتبع محب، وهذا غير صحيح، بل الإتباع علامة ودلالة على صدق وكمال المحبة؛ إذْ لا يتصوّر الإتباع في العمل دون باعثه ومحركه، ففاقد الشيء لا يُعطي كما لا يخفى، فلا يلزم وجود الإتباع وجود المحبة بخلاف العكس، فعلامة المحبة الصادقة الإتباع.

أخرج ابن جرير الطبري من طريق بَكْرِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ:(قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فَجَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَماً لِحُبِّهِ، وَعَذَابَ مَنْ خَالَفَهُ) (٢)، فالإتباع عَلماً وليس أصلاً ،فوقوع المخالفة لا تنفي المحبة وإنما تنفي كمالها، ولكن الصادق يكون على أتم الاستقامة.

قال الإمام المناوي . رحمه الله تعالى .: (فمن أحبَّ الله فهو معه في الدنيا والآخرة إن تكلّم ففي الله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرّك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. واتفقوا على أن المحبة لا تصح إلا بتوحيد

---

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٣٢٥.

المحبوب، وأن من ادعى محبته ثم لم يحفظ حدوده فليس بصادق. وقيل المراد هنا من أحب قوماً بإخلاص فهو في زمرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب مع قلوبهم)[1] ، وقد عقد الإمام البخاري . رحمه الله تعالى . باباً في صحيحه ليبيّن هذا الخطأ المذكور ويصححه بحديث صريح صحيح؛ إذ السنة شارحة ومبينة للكتاب العزيز فقال: (باب علامة الحب في الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ وذكر أربعة أحاديث أولها عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (المرء مع من أحب)، ورابعها عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله؟ قال: (ما أعددت لها؟) قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: (أنتَ مع من أحببت) [2] .

وبيّن أيضاً الإمام الكرماني وابن حجر العسقلاني . رحمهما الله تعالى . وغيرهما وجهة الجمع بين الآية والأحاديث المذكورة في الباب بما تقدم، وأن الإتباع علامة للمحبة الصادقة، فالمحبة تبلّغ صاحبها إلى المحبوب تفضلاً من الله تعالى ورحمة منه.

قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله .: (قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالتَّرْجَمَةِ مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَوْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ أَوِ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْعِبَادِ فِي ذَاتِ اللَّهِ بِحَيْثُ لَا يَشُوبُهَا شَيْءٌ مِنَ الرِّيَاءِ. وَالْآيَةُ مُسَاعِدَةٌ لِلْأَوَّلَيْنِ وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ عَلَامَةٌ لِلْأُولَى؛ لِأَنَّهَا مُسَبِّبَةٌ لِلِاتِّبَاعِ وَلِلثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهُ. انْتَهَى وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمُطَابَقَةِ

---

(١) فيض القدير للمناوي ٢٦٦/٦.

(٢) الحديث الأول برقم:٦١٦٨، والحديث الثاني برقم: ٦١٧١.

الْحَـدِيثِ لِلتَّرْجَمَـةِ ، وَقَـدْ تَوَقَّـفَ فِيـهِ غَيـره وَاحِـدٍ، وَالْمُشْـكِلُ مِنْـهُ: جَعْـلُ ذَلِـكَ عَلَامَـةَ الْحُـبِّ فِـي اللَّـهِ وَكَأَنَّـهُ مَحْمُـولٌ عَلَـى الِاحْتِمَـالِ الثَّـانِي الَّـذِي أَبْـدَاهُ الْكِرْمَـانِيُّ، وَأَنَّ الْمُـرَادَ عَلَامَـةُ حُـبِّ الْعَبْـدِ لِلَّـهِ فَـدَلَّتِ الْآيَـةُ أَنَّهَـا لَا تَحْصُـلُ إِلَّا بِاتِّبَـاعِ الرَّسُـولِ، وَدَلَّ الْخَبَـرُ عَلَـى أَنَّ اتِّبَـاعَ الرَّسُـولِ وَإِنْ كَـانَ الْأَصْـلُ أَنَّـهُ لَا يَحْصُـلُ إِلَّا بِامْتِثَـالِ جَمِيـعِ مَـا أُمِـرَ بِـهِ أَنَّـهُ قَـدْ يَحْصُـلُ مِـنْ طَرِيـقِ التَّفَضُّـلِ بِاعْتِقَـادِ ذَلِـكَ وَإِنْ لَـمْ يَحْصُـلِ اسْـتِيفَاءُ الْعَمَـلِ بِمُقْتَضَـاهُ بَـلْ مَحَبَّـةُ مَـنْ يَعْمَـلُ ذَلِـكَ كَافِيَـةٌ فِـي حُصُـولِ أَصْـلِ النَّجَـاةِ، وَالْكَـوْنِ مَـعَ الْعَـامِلَيْنِ بِـذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَحَبَّـتَهُمْ إِنَّمَـا هِـيَ لِأَجْـلِ طَـاعَتِهِمْ وَالْمَحَبَّـةُ مِـنْ أَعْمَـالِ الْقُلُـوبِ فَأَثَـابَ اللَّـهُ مُحِـبَّهُمْ عَلَـى مُعْتَقَـدِهِ ؛ إِذِ النِّيَّـةُ هِـيَ الْأَصْـلُ وَالْعَمَـلُ تَابِعٌ لَهَا وَلَيْسَ مِنْ لَازِمِ الْمَعِيَّةِ الِاسْتِوَاءُ فِي الدَّرَجَاتِ) (1) .

وقد بدأ الله سبحانه وتعالى بأول صفة من صفات عباده المقربين وهي المحبة، ثم ذكر الصفات الأخرى من رحمة للمؤمنين وشدّة على الكافرين ومن تضحية وبذل لله تعالى، لأن أساس هذه كلها قائم على المحبة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) .

إشكال وجوابه:

ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي . رحمه الله . إشكالاً وأجاب عنه ملخصه: إن قلتَ هل العصيان يُضاد أصل المحبة ؟ فأجاب: إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها، فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٥٥٨.

(2) سورة المائدة: ٥٤.

مع العلم بأنه يضره؟ وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه، ولكن المعرفة قد تضعف، والشهوة قد تغلب، فيعجز عن القيام بحق المحبة. ويدل عليه ما روي أن نُعيْمان كان يؤتى به رسول الله ﷺ في شرب خمر، فأتى به يوماً فأمر به فجُلد، فلعنه رجل من القوم، فقال النبي ﷺ : (لا تلعنه فأنه يحب الله ورسوله)، فلم يُخرجه ﷺ بالمعصية عن المحبة، نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب [1].

وذكر مُلخص ذلك القاضي عياض ـ رحمه الله ـ [2]، وإليك نص قصة هذا الصحابي الجليل من صحيح البخاري [3] فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً على عَهْدِ النبي ﷺ كان اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وكان يُلَقَّبُ حِمَاراً وكان يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشَّرَابِ، فأتى بِهِ يَوْماً فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فقال رَجُلٌ من الْقَوْمِ: اللهم الْعَنْهُ ما أَكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ، فقال النبي ﷺ : (لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إلّا أنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وفي رواية: كان لا يدخل إلى المدينة طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء فقال: يا رسول الله، هذا أهديه لك، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه، جاء به فقال: اعط هذا الثمن، فيقول: ألم تهده إليّ؟ فيقول: ليس عندي، فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه) واسمه: نُعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحادث بن سواد بن غنم بن مالك ابن النجار شهد العقبة مع السبعين وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، قال

---

(١) انظر: الإحياء ٤/٣٥٠.

(٢) الشفاء ٢/٤٥.

(٣) رقم ٦٧٨٠ من كتاب الحدود.

الواقدي: بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية، وكان كثير المزاح يضحك النبي ﷺ من مزاحه [1] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني شارحاً لهذا الحديث ما نصه: (وَفِيهِ أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَثُبُوتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْمُرْتَكِبِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ وَأَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ لَا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[2]، وبنحو كلام الحافظ قال الإمام القسطلاني . رحمهما الله تعالى . كما في شرحه للبخاري.[3]

ولا يخفى أن ترتيب الحكم على العلية مشعرٌ بالعلية، وخصوصاً أن التعليل كان بحرف الفاء في الوصف أي في وصف العلة نفسها، فتعرف العلة بهذا المسلك وهو من النص الظاهر على العلة.[4] وجاء في الحديث :(لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله) فقد رتّب الحكم وهو النهي عن لعنه . الرجل . بالعلة وهي المحبة، فتبين أن الوقوع في المخالفة لا ينافي محبة الله ورسوله، وقد مثّل علماء الأصول بحديث :(لا تُخمّروا رأسه، فإنه يُبعث مُلبياً) [5].

---

(١) شرح الشفاء ٤/٤٥.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٧٨.

(٣) انظر: ١١/٣٢٣.

(٤) انظر: غاية الوصول شرح لب الأصول لأبي زكريا الأنصاري ١١٩، وإرشاد الفحول ٢١١، وغيرهما من كتب الأصول.

(٥) أخرجه البخاري برقم: ١٨٥١، ومسلم برقم: ١٢٠٦.

الخاتمة

نماذج من المحبة الصادقة

زَيْدَ بن الدَّثِنَةِ الخزرجي البدري:

لما أخرج أهل مكة زَيْدَ بن الدَّثِنَةِ من الحرم لِيَقْتُلُوهُ وقد أسروه هو وخبيب يوم الرجيع، قال أبو سفيان بن حرب . قبل إسلامه . لزيد: أنْشُدُكَ اللَّه تعالى يا زيد أتُحِبُّ أَنَّ محمدًا الآن عندنا مكانك يُضرب عنقه، وأنك في أهلك، فقال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فقال أبو سفيان: ما رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَداً يُحِبُّ أَحَداً كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً [1].

صفة المحبة:

سئل علي بن أبي طالب ﷺ كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ قال: قَالَ كَانَ والله أَحَبَّ إِلَيْنَا من أَمْوَالِنَا وَأَوْلادِنَا وَآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ المَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَإِ [2].

امرأة من الأنصار من بني دينار:

قُتِل أبوها وأخوها وزوجها في سبيل الله تعالى يوم أُحد مع رسول الله ﷺ فقالت ما فعل رسول الله ﷺ، قالوا خير هو بحمد الله كما تحبين، قالت لبعض أصحابه: أرينه انظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل. أي صغيرة. [1] .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام٤/١٢٦.

(٢) انظر: الشفاء للقاضي عياض ٢/٣٨.

خالد بن صفوان:

عن عبدة بنت خالد بن صفوان قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رؤيته وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يُسمّيهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجّل ربي قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك (٢).

بلال وامرأته:

لمّا احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته: وآحزناه، فقال: وآطرباه ألقى غداً الأحبة محمداً وصحبه (٣).

وفي الأخير أيكون مَنْ يُحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويُعبِّر عن محبتهما بذكرهما والاجتماع لذلك مبتدعاً !! أو الاجتماع لقرآءة سيرته وشمائله مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم منكراً وزوراً!! أليستْ سيرته العطِرة تُوقِدُ نارَ المحبةِ؟ إننّا في زمنٍ أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد أجاد الشيخ الفاضل د. عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري . حفظه الله . في قوله:

لطيفُ الذوق صاغَ الحُبَ معنى * وعاري الذوق صاغ الحب منعا**

وكلٌ في محبته بذوقٍ سِوى * المحروم ذاقَ الشُهد لسْعَا** (١)

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٥٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/٢١٠.

(٣) ذكر ذلك كله القاضي عياض في كتابه الشفاء ٢/٣٨.

فمن أعظم ثمار وعلامات المحبة هو: الإتباع لهذا الرسول العظيم ﷺ، والذي يجب أن يكون قدوة لنا في أقوالنا وسائر أحوالنا، والمحبة ميزان للمؤمن، فمَنْ كانت محبته لله تعالى ورسوله ﷺ قويّة تراه لا يَحيدُ عن قولهما متبعاً لرسولنا ﷺ.

وأخيراً للموضوع فروع كثيرة ومواضيع متفرقة أكتفي بهذا القدر اختصاراً كما قال صاحب الجوهرة:

لكنْ من التَّطويلِ كَلَّتِ الهِمم * فصارَ فيه الاختصار مُلْتَزم [٢]**

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا وشفيعنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم والحمد لله رب العالمين.

بقلم/ زين بن محمد بن حسين العيدروس

عفا الله عنه

١٢/ ربيع الأول / ١٤٢٤هـ.

---

[١] بلوغ المأمول في الاحتفاء والاحتفال بمولد الرسول ١٠٢.

[٢] متن جوهرة التوحيد البيت رقم: ٦.

فهرس أهم المصادر والمراجع

ـ إحياء علوم الدين للإمام محمد الغزالي، دار الفكر، ط١١٤٤١،٣هـ ـ ١٩٩١م.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله التركي، دار هجر،ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

ـ دليل الفالحين بشرح طرق رياض الصالحين لابن علان الصديقي، دار الفكر.

ـ السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام المعافري ، تح: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ١٤١١هـ.

ـ شرح صحيح مسلم للنووي ، دار القلم ،ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـ فقه السيرة لمحمد سعيد البوطي، طبعة النور الإسلامية.

ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤف المناوي، دار المعرفة،١٣٩١هـ .١٩٧٢م

ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب الكفومي، تح: عدنان درويش وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات